

سورة قريش

مكية وآياتها أربع آيات

بين يدي السورة

* تحدثت هذه السورة عن نعم الله الجليلة على أهل مكة ، حيث كانت لهم رحلتان : رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى الشام من أجل التجارة ، وقد أكرم الله تعالى قريشا بنعمتين عظيمتين من نعمه الكثيرة هما : نعمة الأمن والإستقرار ، ونعمة الغنى واليسار [فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف] .

التفسير :

[لإيلاف قريش] هذه اللام متعلقة بالفعل الذي بعدها [فليعبدوا]

[إيلافهم] معنى [الإيلاف] الإلف والإعتياد ، يقال : ألفت الرجل الأمر ألفا وإلأفا ؟ وآلفه

غيره إيلافا ، والمعنى : من أجل تسهيل الله على قريش وتيسيره لهم ما كانوا يألفونه ، من

الرحلة في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، كما قال تعالى

[رحلة الشتاء والصيف] أي في رحلتي الشتاء والصيف ، حيث كانوا يسافرون للتجارة ،

ويأتون بالأطعمة والثياب ، ويربحون في الذهاب والإياب ، وهم آمنون مطمئنون ، لا يتعرض

لهم أحد بسوء ، لأن الناس كانوا يقولون : هؤلاء جيران بيت الله ، وسكان حرمه ، وهم أهل

الله لأنهم ولأه الكعبة ، فلا تؤذوهم ولا تظلموهم ، ولما أهلك الله أصحاب الفيل ، ورد كيدهم

في نحورهم ، إزدادت مكانة أهل مكة في القلوب ، وإزداد تعظيم الأمراء والملوك لهم ، فإزدادت

تلك المنافع والمتاجر ، فلذلك جاء الإمتنان على قريش ، وتذكيرهم بنعم الله ، ليوحدوه

ويشكروه

[فليعبدوا رب هذا البيت] أي فليعبدوا الله العظيم الجليل ، رب هذا البيت العتيق ، وليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة الجليلة ، التي خصهم بها ، قال المفسرون : وإنما دخلت الفاء [فليعبدوا] لما في الكلام من معنى الشرط ، كأنه قال : إن لم يعبدوه لسائر نعمه ، فليعبدوه من أجل إيلافهم الرحلتين ، التي هي من أظهر نعمه عليهم ، لأنهم في بلاد لا زرع فيها ولا ضرع ، ولهذا قال بعده

[الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف] أي هذا الإله الذي أطعمهم بعد شدة جوع ، وآمنهم بعد شدة خوف ، ، فقد كانوا يسافرون آمنين ، لا يتعرض لهم أحد ، ولا يغير عليهم أحد ، لا في سفرهم ولا في حضرهم ، كما قال تعالى [أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم] وذلك ببركة دعوة أبيهم الخليل (إبراهيم) عليه السلام حيث قال [رب اجعل هذا بلدا آمنا] وقوله [وأرزقهم من الثمرات] أفلا يجب على قريش أن يفردوا بالعبادة ، هذا الإله الجليل ؟ الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ؟ !
البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

- 1- الطباق بين [الشتاء . . . والصيف] وبين الجوع والإطعام [أطعمهم من جوع] وبين الأمن والخوف [وآمنهم من خوف] .
- 2- الإضافة للتكريم والتشريف [رب هذا البيت].
- 3- تقديم ما حقه التأخير [لإيلاف قريش] والأصل (ليعبدوا رب هذا البيت) لإيلافهم

رحلة الشتاء والصيف " فقدم الإيلاف تذكيرا بالنعمة.

4- التنكير في لفظة [جوع] ولفظة [خوف] لبيان شدتهما أي جوع شديد ، وخوف

عظيم.

تنبيه :

قال الإمام الفخر : إعلم أن الإنعام علي قسمين : أحدهما دفع ضرر وهو ما ذكره في سورة الفيل . و الثاني : جلب النفع وهو ما ذكره في هذه السورة ، ولما دفع عنهم الضرر ، وجلب لهم النفع ، وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وآداء الشكر (فليعبدوا رب هذا البيت) الآيات .